

حياة شارع



للشوارع مدن وللمدن شوارع توأمان ولدا من رحم الحياة ينبضان بها واليهما، يجر كانها لكنهما لا يتحركان، والشارع بطبيعته كالنهر حين يخترق المحلات، الأرصفة ضفاف تلك الأنهار الإسفلتية، الشارع في ذاكرة الأوس، رحلة عمل، دار استراحة، أحذية بكعابها تصفع الرصيف، وإطارات الحافلات تصنع دورة الحياة على شارعها. الشوارع بالأوس صباحات عمل، منبهات. وليال سمر، أي ترف كانت تعيشه، وأي قرف يقطع أوصالها اليوم، لا فائنة بتنورتها تغازل الرصيف، حتى الشحاذين بالأوس ينشدون الرغيف بتلاوة القرآن.

أما اليوم بعاهات مصطنعة ينشدون ملذات ليلهم البائس، بالأوس شوارعنا تزين تقاطعاتها بإشارات المرور، وجسور المشاة، أما اليوم تقطعت أوصالها بالحواجر الكونكريتية وسيطرات التفتيش.



مئذنة الكيلاني من شارع الكفاح

الكفاح شارع الانتفاضات.. طالب بالجمهورية قبل ثورة ٥٨

■ أمانة بغداد تتوسطه لكنه يشكو الإهمال وغياب الخدمات
■ باب الشيخ (البستان) الذي أنجب العديد من المبدعين

□ بغداد / يوسف المحمداوي
□ عدسة / أدهم يوسف

ولادته عام ١٩٠٠ ميلادي

شارع الكفاح الذي يعد من الشوارع الطويلة في بغداد يمر بثلاث مناطق هي: الباب الشرقي، والنهضة وباب المعظم، ولكل منطقة توابع من الأحياء التي تحكي لنا تاريخ بغداد التي التحقت بباب الصبر وهي تصرخ موجعة ألا من معين؛ نخلت الشوارع من جهة الباب الشرقي، وبالتحديد من مكان النافورة القديمة التي كانت تزين بداية الشارع، ثم استبدلت بالحصان الذي اختفى مع فرحتنا بالتغيير، بعد أن واطب ساستنا على إمامة أحراننا وأزماننا. يبلغ طول الشارع ٥ كم، ويضم العديد من المناطق على جانبيه الأيسر والأيمن مثل كهوة (شكر) والفناهرة) و (جميلة) والتسابل. وفضوة عرب وفضوة مرجان ورأس الساقية وباب الشيخ ومحلة الصدرية وعكد الكراد ودربونة العانة ومحلة بني سعيد ودربونة الخرج، وأبو دودو وأبو سيفين وقنبر على والمهدية والفضل والعديد من المحلات الأخرى، بدأ البناء في الشارع عام ١٩٠٠ ميلادي، وكانت البيوت آنذاك تبنى من القصب والطين، فضلا عن بيوتات تم بناؤها من القصب، لكن الحركة العمرانية في الشارع بدأت من عام ١٩٢٠، وفي أربعينات وخمسينات القرن الماضي تنفس الشارع بعمارات وأبنية حديثة.

العالوجة راحت لإيران

تفاجأت بأطفال يركضون خلف دراجة هوائية يقودها شاب يبيع (العالوجة) وهم يغنون بأعلى أصواتهم "العالوجة راحت لإيران العالوجة جابت رمان". لم أفتح بسؤالهم عن تفسير للأغنية لأن هناك امرأة خرجت من إحدى الدور، وهي تصيح عليهم "لکم انريد انام، امهاتکم نابمه واعيفيکم بالشارع!". ولا ادري هل يقصدون أن العالوجة التي ذهبت إلى إيران جاءت برمان يدوي أم الرمان الفواكه؟، كل شيء ممكن للجارحة إيران جميع الصلاحيات في ما تفعل!.

تركت الأطفال بعد أن وجدت مرقد لأحد أولاد الإمام الكاظم، وهو عبد الله بن الإمام الكاظم، سألت القيم عليه من قبل الوقف الشيعي، واسمه حيدر سلمان كاظم، متى تم بناء هذا المزارع؟ فأجابني بأن القبر كان موجودا داخل احد البيوت، ولكن أهله كانوا يخشون الإعلان عنه في زمن صدام، لذا أعلنوا عنه بعد عام ٢٠٠٢، ويخج المرقد بالزوار أيام المناسبات الدينية

شارع الملك غازي

كان الشارع في العهد الملكي يسمى بشارع الملك غازي، ومع قيام ثورة ١٩٥٨، سمي بشارع الزعيم، عرفانا بانتفاضات هذا الشارع التي سبقت الثورة، لذا قام الزعيم عبد الكريم قاسم مؤسس الجمهورية العراقية بتسميته: (شارع الكفاح)، وهو بالفعل متخكم بكفاح الشعب من أجل الحرية والحياة.

دخلت الشوارع من محلة كهوة شكر بعد أن مررت في بدايته بسينما الشرق التي كانت فيه بخمسينات القرن الماضي، وتحولت الآن إلى محال لبيع الملابس المستعملة أو ما تسمى بالبالات وكذلك محال بيع السكاكر بالجملة، وافتتحت سينما جديدة هناك بعد التغيير تسمى سينما حمورابي المنطقة تسمى (بالجميلات)، وسميت المحلة بكهوة شكر نسبة إلى شكر جد الإعلامي المعروف إبراهيم صالح شكر في عشرينات القرن الماضي؛ كما يقول المواطن محمود حسن خضر الياس مواليد ١٩٤٧ وهو من أهالي المنطقة القدماء، حيث جلسنا قبالة إحدى الدور

بيت يهودي في محلة كهوة شكر



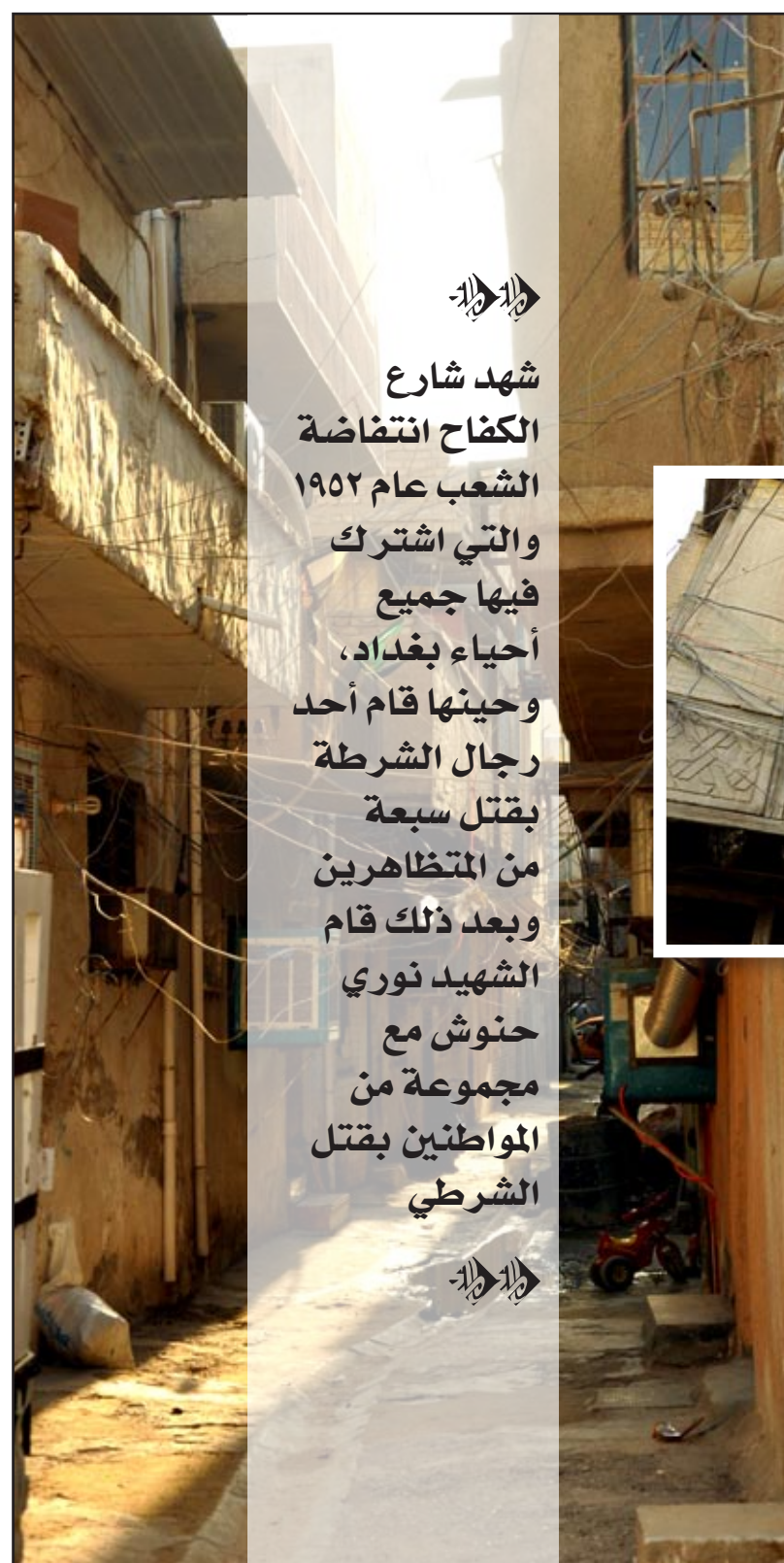
الدى في مقهى محمد حيدر

فلسطين مريديان، وكذلك عمارة فندق البلد الجديد الذي يعد من أقدم فنادق المنطقة كما يقول المختار عبد الستار.

منظمات ترمم.. والتربية تهدم

وشكا عبد الستار الحالة البائسة التي تعيشها المنطقة بسبب غياب الخدمات وتآكل بيوت المنطقة، وعن وضعية المدارس فيها قال العاني: إن مدرسة أبي سعيد الخدري الابتدائية، تخلو من الأثاث وخزانات المياه وجميع الوسائل الضرورية كالمراوح الكهربائية وحتى احمد وهو بكالوريوس آداب لم يحظ بفرصة عمل، يتواجد فيه العديد من سكنة المنطقة الذين مضى بأن منظمة (ird) الأميركية طلبت أن تتقدم باحتياجنا لغرض توفيرها من قبلهم، فتفاجانا ولأسف برفض وزارة التربية وكذلك وزارة المالية ذلك. مضيفا بأن الوزارتين ترفضان ترميم المدرسة من خلال أموالها، وكذلك ترفض أن تسمح للمنظمات الإنسانية بأن تقوم بذلك.

تركت المختار عبد الستار وأنا أغني لوزارة التربية: "يا فؤادي لا تسلم أين الهوى شو مدارسنا ومزابلنا سوه اسقني واشرب على أطلالها" عرك بعشيقته على الصاير دوه



لحد أزقة باب الشيخ

بستان النكرة

سرت باتجاه باب الشيخ الذي كان عبارة عن بستان يسمى بستان النكرة، وأنت تسير في بدايته ستري حتما حجم الدمار الذي يلغ الشارع، محال للأصباغ، مطاعم للمسك والجرى، بقايا من حمام نسائي رجالي تم بناؤه في عام ١٩٤٨، عكد الجري الذي يشتهر بمطاعم الجري والمسك، ثم تدخل إلى زقاق تصل من خلاله إلى مقهى محمد حيدر في فضوة عرب ويسمونها أيضا فضوة مرجان، المقهى موجود من ثلاثينات القرن الماضي، ويديره الآن الموهن صبيح فاضل احمد وهو بكالوريوس آداب لم يحظ بفرصة عمل، يتواجد فيه العديد من سكنة المنطقة الذين مضى بأن منظمة (ird) الأميركية طلبت أن تتقدم باحتياجنا لغرض توفيرها من قبلهم، فتفاجانا ولأسف برفض وزارة التربية وكذلك وزارة المالية ذلك. مضيفا بأن الوزارتين ترفضان ترميم المدرسة من خلال أموالها، وكذلك ترفض أن تسمح للمنظمات الإنسانية بأن تقوم بذلك.

تركت المختار عبد الستار وأنا أغني لوزارة التربية: "يا فؤادي لا تسلم أين الهوى شو مدارسنا ومزابلنا سوه اسقني واشرب على أطلالها" عرك بعشيقته على الصاير دوه

المطالبة بقيام الجمهورية

ويضيف عيشة: إن باب الشيخ شهد العديد من الانتفاضات أهمها انتفاضة الشعب عام ١٩٥٢ والتي اشتركت فيها جميع أحياء بغداد، فتجد فيها القادم من الأعظمية والكاظمية والكرخ وجميع مناطق العاصمة وكان يقودها كما يقول محمد (الحزب الشيوعي العراقي) وكذلك (الحزب الديمقراطي الوطني) الذي كان يقوده كامل الجادرجي، وكان له مقهى في الشارع يعتبر مقرا لأعضاء الحزب، وأثناء تلك الانتفاضة كانت الجماهير تطالب بقيام الجمهورية وتردد الأهزوجة الآتية:

نوري سعيد القنطرة
وصالح جبر قيطانها
لكن كما يقول عيشة تبدلت الأهزوجة بعد أن لبّيت المطالب.

نوري سعيد شدة ورد
وصالح جبر ربحانها

(هذا عزاكم يا بني واشر)

مضيفا: انه أثناء الانتفاضة قام احد رجال الشرطة وبعدي (خورشيد) بقتل سبعة أشخاص من المتظاهرين، فقام الشهيد البطل نوري حنوش مع مجموعة بالانتفاف على الشرطي وتم اعتقاله من قبلهم ومن ثم حرق جثته.

وكانت أهزوجة المتظاهرين "هذا عزاكم يا بني واشر"، ولكن تم إلقاء القبض على نوري حنوش واعد في زمن حكومة نوري السعيد عام ١٩٥٣ على الرغم من مقابلة والدته الوصي عبد الإله، ويقال أنها قامت بتقبيل قدم الوصي، ولكنه رفض العفو عنه، نتمنى على المسؤولين إقامة نصب تذكاري يخلد شهداء الانتفاضة في هذا الشارع خاصة وان الشارع يخلو من النصب.

وبين محمد أن نوري السعيد قام في وقت الانتفاضة بتعيين رئيس أركان الجيش نور الدين محمود رئيسا للوزراء ووزيراً للدفاع، وأعطى للمتظاهرين وعودا بتفخيذ مطالبهم، واستمر في الحكم لمدة ٦ أشهر، وبالفعل كما يقول المواطن محمد نفذت بعض الوعود وأخذت تلك الانتفاضة الرائعة.

يقول شيخ الصحافة العراقية الدكتور فائق بطي الذي شارك في تلك الانتفاضة وأصيب فيها: إن نساء شارع الكفاح شاركن في تلك الانتفاضة وخاصة عندما كانت القوات الأمنية تطلق القنابل المسيلة للدموغ، حيث قامت نساء تلك الأحياء البظلة بجلب أوعية الماء للمتنفضين لغرض إطفاء تلك القنابل أو غسل عيون المصابين بها، فكان منظرا نضاليا رائعا لا يفارق الذاكرة.

دار لتجارة القطن

أما صبيح فاضل العامل في مقهى محمد حيدر، فيقول: إن بستان النكرة في عشرينات القرن الماضي كان عبارة عن دار لتجارة القطن فكان يسمى ب (دار قطن)، وفي باب الشيخ وبالذات في فضوة عرب هناك مقهى وليد لرواد المحبب، حيث اشتهر من المنطقة في هذه اللعبة الرمضانية المرحوم عادل بطوطة، وكان هناك تسابق رمضاني على البطولة بين بطوطة وشينار من الكاظمية، فضلا عن لاعبي المحبب فان باب الشيخ رهد المنتخبات الوطنية بالعديد من اللاعبين المعروفين منهم على سبيل المثال لا الحصر، ستار خلف، جبار رشك، جليل شهاب، شاكر إسماعيل، جواد عنتر من الفرقة الثالثة، محمود أسد، معزز حسين، كاظم شبيب، قاسم أبو حمرة، وغيرهم، من الأسماء في عالم الرياضة من لاعبي كرة القدم والسلة، فضلا عن الملاكمين.

سياسيون ومثقفون

أما عن السياسيين فباب الشيخ أنجبت العديد من الأسماء على امتداد الحكومات المتعاقبة، ومن ابرز تلك الأسماء القيادي في الحزب الشيوعي العراقي عبد القادر إسماعيل البستاني الذي نفي من قبل الملك إلى روسيا، وعاد إلى العراق بعد قيام ثورة ١٩٥٨، فضلا عن أن باب الشيخ أنجبت أول رئيس وزارة للعراق والذي توفي عام ١٩٢٧ ودفن في مرقد الإمام الكيلاني، وما زلت عائلة بيت النقيب متولية للحضرة القادرية، وذلك لانتماء بيت النقيب لهذه العائلة الطاهرة، وكذلك أنجبت قضاة وقادة شرطة ووزراء.

نعم إنها محلة باب الشيخ البستان التي ازدهرت بعلم الثقافة والفن، فمنها شاعرنا الكبير عبد الوهاب البياتي والروائي الرائع فؤاد التكرلي، وأنا انظر صوب البيوت التي تخفي بوجعها، صوب المدينة الموحشة الذي يقع مقر أمانة العاصمة بالقرب منها، لا ادري لماذا تذكرت مجموعته حديث الأشجار الذي يقول في قصة الأشباح على لسان شيخ بصوت مرتجف: قلت لها قلت لها عدا عدة مرات لا يمكنني العودة إلى تلك المدينة بغداد، إلى ذلك البلد الملعون. لا يمكنني لكنها لم تجد وصفا تصفني به إلا الجبن... الجبن والخوف والاختباء والراجع وحتى خيانة الحقوق.

وبماذا يمكن أن أجيبها وقد أكملت الثالثة والسبعين؟ تقول ماذا تبقى لك كي تخشاه؟ وهي لا تعلم بأن الساعات الأخيرة تصبغ أثنى مع اقتراب النهاية، أثنى وأثنى، حتى الدقائق، وربما الثواني.

صدام حسين

يقول سامي عباس الجبوري انه في عام ١٩٥٤ غرقت المنطقة بسبب فيضان بغداد، ولكن الذي أنقذها قرار الملك بفتح المياد على بحيرة الرثار، منذرا بان الانتفاضات التي حدثت هي حزبية وشعبية أيضا، بينما يروي السيد جمال وهو ابن الاسطة الذي قام بمشاركة البنائين في تشييد مرقد وجامع الشيخ عبد القادر، بأن والده تعلم المهنة من ابن عمه المرحوم مهدي ابن الطرشة الذي توفي إثر سقوطه أثناء البناء عام ١٩٧٣، ويضيف بأن المنطقة اشتهرت بأسطوات البناء مثل حجي لقمان وأبو جليلية، وعباس أبو البطوي، مضيفاً: أن من فناني المنطقة الفنان راسم الجبيلي الذي كان والده يعرف بالملا لأنه كان فتاح فال لنساء المنطقة وكذلك الفنان عبد الجبار عباس ورائد غناء المربعات فاضل رشيد.

وأنا أتقرب من الرحيل قال لي صديقي المصور أدهم: إن أحد الشباب يريد الحديث معك، فوجدته شابا في عمر الثلاثين وحدثني بحياء قائلا: إنني راجعت اغلب دوائر الدولة ورفضوا تعييني بأي مكان والسبب هو أن اسمي (صدام حسين) على الرغم من كوني خريج معهد الإدارة والاقتصاد، فقلت مع نفسي: يا أخي بدل اسمك (داياد الماكي) لكي تكسب ود الإثنين وتنال التعيين. والي حلقة أخرى مع شارع الكفاح...